

# السينما عالم من التجارب الإنسانية ضد مركزية الذات

«عشر سنوات من الخيال».. كتاب يطرح السينما وسيلة للتواصل الإيجابي



مقاربات أخرى للسينما الأفريقية (فيلم والاي)

برايو، ترجمة سهام عبدالسلام ومحمد مراد (2019). ويستثمر القرش مقولات لكل من أنطونيو غرامشي وفرانز فانون عن موقع المثقف المترجم، العضوي، أو النموذجي الذي يتولى التفاوض بين الشعب وإجمالي الأمة، غالباً ضد البرجوازيين القوميين، ويرتبط أيضاً بخشبة مسرح العالم. لتصبح الأفلام الأفريقية نوعاً من التامل الجمالي والنقد للذات الأفريقية وللعالم. وهذا ما يعيه المخرجون. وفي ختام كتابه، يراهن الكاتب على اختصار جدارة السينما برفع الوعي الجمالي والإنساني لجبل جديد من أبناء الأقصر، وتوريث إيمان الجمال والخيال، ذاكرة تجربة هندية قيمة عايشها في أتاحة الفرصة أمام تلاميذ المدارس لمشاهدة أفلام هندية وعالمية خلال أيام المهرجان السينمائي المقام في العاصمة الهندية، وذلك يسهم في تدريبهم على "حب البشر" كما يعبر الكاتب، متمنياً تضمين هذه التجربة محلياً، إذ أن "من لا يحيون الحياة سينظرون عيونهم مغلقة باتساع الجحيم".

وصاحب الكتاب، وهو روائي في رصيده ست روايات ومجموعات قصصيات، وله كتب رأي وفي أدب الرحلة، وكتاب "في مديح الأرقام" (2016)، يذيل كتابه "عشر سنوات من الخيال" بخمس مقالات، ثلاث منها قراءات في ثلاثة أفلام "ورد مسموم" للمصري أحمد فوزي صالح (2019)، و"ستموت في العشرين" من إخراج السوداني أمجد أبو العلا السودان (2019)، جولدبلات من بوركينا فاسو (2018). وينشر أيضاً مقالات وردا في كتابين سابقين من إصدارات المهرجان، وهما "الهجرة.. الرق.. الحرية والبحث عن الهوية في أفلام دول غرب أفريقيا" لفاروق عبدالخالق، (2018)، وهو يقدم بانوراما للسينما الأفريقية، يعيون محلية واعية، كما يرى القرش، و"السينما الأفريقية المعاصرة وسينما الشتات" للناقدة الهندية أنجلي

الويعي بدور توعوي بالفنون الجميلة، من جهد، وإرادة عائلة المهرجان المؤمنة بضرورة تفكيك المركزية الثقافية للعاصمة، وبأهمية التواصل مع بيئة الأطراف/ الأقصر الحاضرة. وهو أيضاً رصد لتطور السينما الأفريقية بتياراتها وروادها وأبرز رموزها، خاصة أن هذه السينما تداب لتقديم أفلام فنية، إخلاصاً منها لرسالة الفن السابع "في القضاء على الكولونيالية.. والحاجة إلى إعادة اختراع أفريقيا في ما وراء هذا الماضي الكولونيالي". وجاء الكتاب سجلاً

معتبراً يورخ لكل دورة من دورات المهرجان (2012 - 2019) على حدة، بجوائزها وأنشطتها المتنوعة وإصداراتها، مع جداول موضحة لجوائز المهرجان، وأسماء لجان التحكيم للمسابقات (أفلام روائية وتسجيلية، طويلة وقصيرة، وأفلام حريات أو دياسپورا/ الشتات) عن كل دورة.

يعتبر مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية مرآة للفن السابع في القارة السمراء ومنصة تعرض طموحات وأحلام الدول الأفريقية، كما يسلط الضوء على الصعوبات والمشاكل التي تعترض طريقها. ولا يكتفي المهرجان الذي اختتم منذ أيام بالأفلام وعروضها ونقدها، بل أيضاً يقترح مقاربات ثقافية وفكرية من خلال إصداراته.

الدولة/ الوطن على حساب التواصل الثقافي الفعلي مع دول الجوار، في المستوى الفني السينمائي على وجه الخصوص؛ فكان مهرجان "الأقصر للسينما الأفريقية" صرخة ثقافية انفتاحية دائمة، ودائمة التطور من عام إلى آخر في وجه العزلة، ودائماً وفق تعبير معد الكتاب ومقدمه.

أما السبب الثاني فيعود إلى مفهوم "المهرجان السينمائي" نفسه، وتميزه عن عرض فيلم فحسب. وهو ما أوضحه الكاتب كذلك، المهرجان حالة إنسانية ثقافية، ومجموعة ندوات ولقاءات وأنشطة تشكيلية، وورش عمل تنفتح على المجتمع المحلي، وعلى المجتمعات الخارجية معاً، وهو كتب موضوعه وترجمته تعنى بصناعة الفيلم، سيناريو، إخراجاً، ممثلين، قضايا، ورؤية بانورامية ترصد تطور السينما في قارة. المهرجان إذن، علاقة متعددة الأطراف والأجيال والرؤى. لذا أن تكون في قلب الحدث يختلف عن مشاهدة فيلم والتأثر به وحيداً، سلباً أم إيجاباً.

ولكي أبقى في أجواء السبب الأول، أتوقف أمام حادثة لي في الأقصر مع صحفي من إحدى الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية، وقد فرح بمصادفة اللغة المشتركة التي بإمكاننا التواصل بها. وبعد اللقاء تأملت في أحوال الشعوب الإنجلوفونية، الفريكوونية، أو اللاتينوفونية، وما تبقى لها من مخلفات الاستعمار بمسماياته كافة عدا اللغة البديلة أو الموازية.

وإن تأخر الوعي بالتححر وإنشاء حركاته، أو تفاوت ميعاد الاستقلال بين شعب وآخر، فإننا جميعاً لسنا بمنأى عن المشترك الإنساني في الهموم، من علاقة المستعمر بالمستعمر، وقضايا المرأة والأسرة، والهم المعيشي، وعنف الجماعات المسلحة، والانشقاقات الإثنية والدينية والقبلية ومفززاتها لاسيما الهجرة والشتات، إلى غير ذلك مما نجد صدى له في الأفلام.

السببان اللذان تقدم ذكرهما بإيجاز يعودان إلى مفهوم علاقة الإنسان بالآخر، وإلى التمركز الذاتي أو تقضه بإيجاد سبيل أكثر إنسانية للتواصل الإيجابي مع "جيراننا في العالم"، وإلى فلسفة السينما، وإن لم تجد عناية تذكر من قبل الفلاسفة.

إنما السينما فن؛ وبعضهم يرى أن الفن وسيلة خلاصية أو دافع هروبي من

د. سميرة عزام  
كاتبة لبنانية

قد تكون لا حاجة بي إلى ترديد مقولات بشان السينما والخيال السريدي، أو الفنون بعام، باتت معلومة لدى المهتمين، مثلما يحسد بها من يعيش الفن بحواسه بغير تفسير أو تفكير بلغة واصفة. كان يجعلنا الفيلم نعيش الحياة مضاعفة، أو أن تأخذنا الدراما، تصورا وتصويراً، إلى عوالم من الخيال وبهجة، بل تضعنا في قلب التجربتين الإنسانية والفنية. كل فيلم عالم قائم بذاته كما يعبر سعد القرش في كتابه "عشر سنوات من الخيال"، الصادر عن مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية تزامناً مع دورته العاشرة في 26 مارس من العام 2021.

## التفاعل مع الآخر

لعل تناول كتاب "عشر سنوات من الخيال" يعنيني لسببين رئيسيين؛ أولهما يتعلق بتجربتي الخاصة من خلال مشاركتي في دورتين من دورات المهرجان. وكنت، قبل مشاهدة العروض السينمائية للأفلام الروائية والتسجيلية المشاركة، مخطئة في ظني بأن القارة الأفريقية بشعوبها وأقوامها، باستثناء الدول العربية، نموذج بشري واحد، وقضاياها واحدة ليس إلا.

## الكتاب يرصد تطور السينما الأفريقية بتياراتها وروادها وأبرز رموزها ويشكل حصيلة تأمل في حصاد ثقافي وفكري

وهذا ما وجدت تعبيراً صارخاً عنه في صفحات الكتاب؛ إذ لم أكن الوحيدة من يرى، باستثناء وجهه، أن دول جنوب الصحراء كتلة واحدة لا تنوع بشريا وثقافيا فيها، بل كان أن من ينتمي إلى القارة نفسها، شمالها الجغرافي العربي تحديداً، يمتلك التصور الخاطئ نفسه. ويعلل صاحب الكتاب أسباب هذا الجهل بالأخر بالطبيعة التي رفعت شعاراً منذ سنوات، ذلك بالإعلاء من شأن

# طيلة شهر رمضان.. الجزائر تقدم أفلاماً وثائقية تعيد جمهورها إلى سحر التاريخ

للمخرج سيد أحمد حلالشي، وذلك بالتزامن مع إحياء ذكرى مجازر 8 ماي 1945.

المركز يقدم أفلاماً تستغل على إعادة تركيب الوقائع وبعث الشخصيات التاريخية ذات العلاقة بزمنها والمؤثرة فيه

وتنضبط هذه الأفلام لمعايير الفيلم الوثائقي حيث تقدم للمشاهد شخصيات حقيقية وأحداثاً تاريخية موثقة، غير أن المخرجين، على غرار الأفلام الوثائقية في مختلف أنحاء العالم، استخدموا في أعمالهم مجموعة كبيرة من الحيل من أجل تأكيد صدقية ما يقدمونه خاصة وأن بعضها عن شخصيات راحلة منذ قرون، ما يمنح الفرصة للمخرج للاشتغال أكثر على الخيال في رصد وسرد الوقائع. وتسمى مختلف هذه الأفلام الوثائقية إلى كتابة السيرة الذاتية السردية بصرياً من خلال الاشتغال على إعادة تركيب الوقائع التاريخية وبعث الشخصيات ذات العلاقة بزمنها ومجتمعاتها وتأثيرها فيهما، إما بحثاً عن حقيقة أو تقديماً لخطاب مغاير للساند أو تأكيداً لقراءة أخرى.

أولاد سيدي الشيخ سنويا فعاليات "الوعدة" التي تحمل اسم وليهم الصالح والذي عاش الحقبة الممتدة من 940 هـ/ 1533 م إلى 1025 هـ/ 1616 م، ولا تزال مجرياتها مستمرة على امتداد حوالي خمسة قرون وهو الأب الروحي المسمى بسيدي عبدالقادر محمد الملقب بسيدي الشيخ الذي يقام له احتفال كل سنة.

كما يشمل برنامج عروض الأفلام الافتراضية لذات المؤسسة السينمائية بمناسبة شهر رمضان عرض فيلم الوثائقي "تيميمون" للمخرج أحمد لعروسي وكذا عرض الوثائقي "حلم النسور"، ويعالج هذا الفيلم الوثائقي للمخرج محمد حازوري في 52 دقيقة المسار العسكري للأمير عبدالقادر من خلال مواجهته لـ 142 جنراً لفرنسيا وقيادته لزهراء 115 معركة كبرى عبر مختلف ولايات الوطن على غرار معركة "المقطع" و"الكرمة" وغيرهما. كما يتطرق هذا العمل أيضاً إلى أهم المآثر التاريخية التي تعود إلى عهد الأمير عبدالقادر.

وتخصص ليلة السابع والعشرون من رمضان لعرض الفيلم الوثائقي "الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي" لمخرجه العربي لكحل. وتختتم العروض الافتراضية يوم 8 مايو القادم بعرض الفيلم الوثائقي الموسوم بـ"قصة العلم الجزائري"

الفرنسي الذي حاول بشتى الوسائل غلق دار الحديث التي تعتبر رمزاً من رموز الهوية الوطنية.

كما يعرض المركز الفيلم الوثائقي "ركب سيدي الشيخ" للمخرج محمد الشريف بقة، وهو الفيلم الذي يتتبع الركب وهي طقوس جزائرية قديمة تنظم سنويا تجمع بين ما هو ديني وفولكلوري على غرار قبيلة بلبدان المغرب العربي، وينظم سكان منطقة



الظواهر الدينية والفولكلورية مادة خصبة للأفلام

غرار محمد القورصو وعبدالحاميد حاجيات، كما استند إلى الأرشيف واستنطاق الأماكن التي لها علاقة بدار الحديث.

وقد أبدع عولمي في تحريك عدسة الكاميرا بين أروقة وأقسام وطاولات مدرسة الحديث، التي تخرجت منها أجيال كثيرة وتتلذذ فيها أهم المشايخ بالمنطقة ووقفت حائلاً في وجه طمس اللغة العربية من طرف المستعمر

كما سيرعرض في نفس الإطار الفيلم الوثائقي "دار الحديث فضاء علم وعبادة" للمخرج السعيد عولمي، الذي يروي ذاكرة أول مدرسة جزائرية بنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1934، وقد اعتمد المخرج في عمله، الذي تطلب عاماً كاملاً، على الشهادات الحية لبعض الأساتذة والتلاميذ الذين انتقلوا إلى هذه المدرسة، وكذلك قام باستجواب بعض المؤرخين على

ويسرد لنا مزاحم من خلال فيلمه الحياة الروحية للشيخ الفقيه سيدي بومدين شعيب الغوث، الذي ولد في إشبيلية عام 1126 م، وتوفي بتلمسان سنة 1198 م، واسمه الحقيقي شعيب بن الحسين الأنصاري وشهرته أبو مدين التلمساني، حاز كثيراً من الألقاب مثل شيخ الشيوخ وشاعر المعلمين، فهو فقيه ومتصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس إحدى أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس، وقد تعلم في إشبيلية وفاس وقضى أغلب حياته في بجاية وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره. وشمى به البعض عند يعقوب المنصور الموحيدي بمرآة، فبعث إليه الخليفة للقدوم إليه لينظر في مزاحم حول خطورته على الدولة الموحدية، وفي طريقه مرض وتوفي نواحي تلمسان، وبني سلطين بني مزين بضريحه مسجداً ومدرسة.